كثرة جنايات القتل

والواجب على الجمهور والحكومة

اطلعنا على هذا المقال الشيق في جريدة المقطم وهو من قبيل ما نطرقه من الموضوعات فنستحث به قراء الحقوق لما فيه من فائدة

اختلف علماء النفس في تعليل الدافع القوي الذي يخرج بهذا الانسان العادي العقل عن طوره في بعض الاحيان ويعزله عن دائرة انسانيته الى حضيض الوحشية فيصبح حينئذ مفترساً يلتذ الدماء ويرهق الارواح غير مبال بما في عمله من القسوة ولا بما ينتجه من الشقاء فبعضهم علل ذلك بغريزة حب البقاء فتصور للانسان خطراً موهوماً يهدد حياته بالفناء فيغريه باخراص عليها ودفع الاذى عنها فيقدم على القتل اعداداً لذلك الخطر في زعمه وتنجية حياته مما يخشاه عليها فلا يلبث ان يرى انه قد قضى عليها من حيث اراد استبقاءها وبعضهم قال انها غريزة الانانية تخلق فيه الحسد والغيرة من نجاح الآخرين فيضمر الشر لهم واذا بالحسد يدفعه الى الفكر كما وقع في اول حادثة قتل ارتكبت منذ الخليقة . وبعضهم ذهب الى ان فساد الاجتماع هو العامل الاكبر في وجود القاتلين الخاص لان هذه الانظمة التي تواضعوا عليها خلت من روح المساواة والانصاف في الكسب فصبح كل من يعتقد انه مهضوم الجانب حانقاً على الهيأة التي يعيش فيها مستعداً لثورتها اذا هيأت له الظروف . وارجع البعض جنايات القتل او جانباً منها الى الشهوات البهيمية والغلو في الاستمتاع بها الى درجة استرخاص حياة الآخرين في سبيل ذلك . ويطول بنا الكلام اذا اوردنا كل ما خطر للعلماء والباحثين في تعليل هذه الظاهرة النفسية السيئة وقد يكون لكل من الاسباب التي بسطوها حظ من الصواب في دائرة معينة ولكن الامر الذي لا يحتمل نزاعاً هو ان جنايات القتل امراض عامة تزداد هذه الجنايات او تقل على نسبة توفرها او اختفائها وفي مقدمتها ضعف الوازع الديني والخلقي في الهيأة وليس الوازع الديني مقتصراً على معرفة التكاليف الدينية واستظهار الكتب القدسة والتظاهر بالصلاة والصوم ونحوهما

بل هو في الوقت نفسه تربية عميقة الأثر يرضعها الطفل مع لبن أمه ويتلقاها في البيت وفي المدرسة وفي الوسط في مراحل حياته حتى تتطبع فيه وتصبح غريزة من غرائزه الثانية وجملة هذه التربية وحياتي بها نذر أن ترى الأقلام على هذه الجريمة الكبرى أثراً بل نذر أن لا ترى من يقترفها ويشمئز منها ويستهجنها.

ومرد كل هذا السبب هو لا محالة تضطرب الأحوال الاجتماعية وتفسد الأنظمة الحكومية وتنتشر الآراء والمذاهب الهدامة التي تستمد قوتها من إهدار الشرائع السماوية ومن تهيج الطبقات الشريرة. وهذا هو تعليل ما نسمع به من آونة وأخرى من حوادث الاغتيال الرهيبة التي تقشعر الأبدان لمجرد ذكرها كالتي وقعت أخيراً في بلادنا فإن أمثال هذه الحوادث دليل على أن الأفئدة في بعض البيئات على اقتراب انفجار من البركة شديدة تستوقف النظر وتبعث على التساؤل عما دعت إليه تلك البيئات من انحطام الروادع الدينية والزواجر الأدبية.

وليست مصر والحمد لله من البلدان التي يتقدم أهلها على نحو الكمائن والمراصد من فيها من المجانين ولا يحل قتل النساء والأطفال الأبرياء بمثل هذه الجرائم فإن ذلك بعيد عن أخلاق أهلها الذين طبعوا على الرفق بما أودعته فيهم طبيعة الرضوخ وسجاياهم من الطيبة والأخلاق السمحة. ولكن حوادث القتل الأخرى الناشئة عن الحسد والشهوات والانتقام والفقر وسوء التربية ليست مع ذلك قليلة بدليل ما نشره القلم خلال شهر واحد عن ١٠٠ حادثة قتل و١٠٠ حادثة شروع في قتل وليست حوادث الشروع في القتل الا حوادث قتل في حقيقتها لأن مرتكبيها إنما قصدوا القتل غير أن ظروفاً قاهرة حالت دون تنفيذ فعلهم. فإذا كانت هذه الجنايات الكبرى سائرة على هذا القياس فمعنى ذلك أن ٢٤٠٠ جناية تقع في القطر المصري في السنة أي بنسبة ١٧ جناية لكل ١٠٠٠٠٠ نفس من السكان. فلا تكون هذه النسبة عالية ولكنها على كل حال أعلى نسبة في البلدان الأخرى التي نعهد حتى نرى مساوئ هذه الحوادث في الأخلاق وفي الاجتماع المدني والسياسي.

ولا ننكر أن البلاد انتقلت من دور إلى دور في حياتها الاجتماعية وأن انهياراً عظيماً وقع عليها من الخارج بعد ما وقع عليها من الداخل والعوامل ولكنا نعتقد أن

العامل الاكبر في هذه الجنايات لا يزال مجهولاً ويعزى به عدم وجود التربية الخلقية الحقة التي تطبع النفوس بطابع الفضيلة منذ حداثتها وتنفر اليها الشر حتى تسري هذه الفضائل في دمها ولا تستطيل الاقدام على هذا المنكر اضف الى هذا ان الانقسامات الدينية الناشئة عادة من مناقشات حزبية او غير حزبية دخلا في تلك الجنايات وهي علة تخشى كثيراً من استعراط لان الدلائل لا تدل على ان حداً قريباً سيوضع للمنافسات والتحزبات والعداوات التي لا اذا تنبه ولاة الامور المسؤولون على مستقبل البلاد الى هذا الامر واولوه كل ما هو جدير به من العناية والالتفات واصرفوا مكانيهم الى معالجته بكل ما في الطاقة من صنوف العلاج

واذا لم يكن من اليسير نشر هذه التربية وتعميمها في وقت قريب فان الاساس يجب ان يوضع من هذه الساعة وان يبدأ في البناء عليه بهمة لا تعرف كلالاً ولا وناء استعداداً لمواجهة اخطر الاخطار الاجتماعية التي قد تصادف الامة في السنوات المقبلة بسبب كثرة عدد السكان وضيق الارزاق وشيوع الالحاد والاستهتار بالاخلاق والاديان هذه كلها اخطار يتعين اتقاؤها من اليوم لئلا يتفاقم داء الاقدام على القتل وتكثر الجنايات وترد حبل الامن مضطرباً وتصير الحياة منغصة كضروب الشقاء الذي لا يطاق

ومن الامور التي ينبغي الالتفات اليها تدارك الموظفين الاداريين ينصرفون الى السهر على الامن وعدم تكليفهم من الاعمال ما يخرج عن هذه المهمة او يلهيهم عنها الان في استطاعة الامور السياسية ان يستعد جهودهم واوقاتهم ولا يكون في استطاعتهم ضبط الجنايات ومطاردة فاعليها وتعرف اسبابها ومنع وقوعها وفي هذا من الضرر على البلاد وطمأنينتها ما لا تحمد عقباه منتصف يعيد النظر

وحسبنا ان نقول ان وقوع ٢٠٠ جناية من القتل والشروع فيه في كل شهر يحقق ان يكون ساحة البلاد مضطربة ثم موقظة الافكار حتى لا يترك هذا السؤال يحير في الاذهان والمسؤولون عن سلامة البلاد لا يزالون غافلون ولا شك ان اخلاص القائمين على زمام الامور وصدق رغبتهم في خدمة الامة يكفلان تحقيق آمالنا فيهم في هذا الباب من ابواب العمل ان شاء الله .